

خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

٢٧ من صفر ١٤٣٦ هـ / ١٩ من كانون الأول ٢٠١٤ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة ومن اهتدى بهديهم واستن بسنتهم إلى يوم الدين.

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عز وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين. يقول المولى ﷺ في محكم التنزيل: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢-٤٣].

معاشر الإخوة: لقد تحدثت سورة آل عمران عن خوارق للعادات تقع غالباً في جو النبوات، فإن الله عز وجل يريد أن يقول للناس: إن ميلاد عيسى مخالفاً للسنن الطبيعية أو للقوانين المعتادة، لم يكن بدعاً في البيئة التي عاش فيها، فإن مريم كفلها زكريا، فكانت هذه الأسرة مسرحاً لبعض العجائب التي وقعت، كان زكريا يدخل فيجد طعاماً لم يأت به عند مريم، وقد ذكر القرآن ذلك بقوله سبحانه: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

لما شعر زكريا بأن خوارق العادات تقع حوله طمع بفضل الله، وكان شيخاً كبيراً قد وهن عظمه وتغضن جلده، وتأخرت سنه، وكانت امرأته عقيماً ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ * فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٣٨-٤٠]. لقد عاشت السيدة مريم حياة صعبة، ومررت بامتحانات قاسية، وكان من أخطرها عندما جاءت قومها بطفلها وهي تحمله، فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾

[مريم: ٢٧-٢٨] لكن الله أنقذها من موقفها العصيب، فأنطق طفلها بأنه رسول المحبة والسلام، والموقف هذا شبيه بموقف أم موسى، وذلك عندما شرع فرعون بقتل كل مولود ذكر، خافت أم موسى على

رضيعها من بطش فرعون، لكن الله ألهمها إلى الطريق الذي يحفظ ولدها ويرده إلى أمه مرة أخرى، قال سبحانه: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ تأمل أخي المسلم هذه الآية، كيف خافت أم موسى على ولدها، فأمرها الله بإلقائه في اليم، ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧] فقد جعل الله الرسل العظماء من الأمهات العظيمات.

إن الله أرسل رسوله إلى الناس، والناس معادن، تكشف المعاملات عن سرائرهم وهم آحاد، وتكشف السياسات عن طبائعهم وهم جماعات، ومعادن الأمم تتكون من جملة السلوك العام لأفرادها، مع ما ينضم إلى ذلك من خصائص الجنس ومستويات الثقافة وأرصدة المنفعة التي تحرص كل أمة على تحصيلها لنفسها، ومعادن الأمة -يا سادة- له أثر كبير فيما تحمله من رسالاتها، فإن الأمة التي لها خصائص كريمة تصل برسالتها إلى مدى بعيد، والأمة التافهة تكبو برسالاتها التي تحملها، وتقف بها جو الغاية المنشودة، إذا التقت طبيعة أمة ما مع طبيعة الرسالة التي تحملها كان هذا الالتقاء قوة كبيرة للأمة ورسالتها معاً، وتعزز ثمرات الخير الناشئة عنه إذا كانت هذه الرسالة قائمة على الإيمان والحق، محكمة السير على ما تقدم للعالم من بر ورحمة، ولكن هل هذا الالتقاء ميسور دائماً، إن التاريخ -يا سادة- يُسجل تفاوتاً كبيراً لمسير الرسالات في الأرض، وهو تفاوت يجب أن نلاحظه حين ننصف الأديان من أتباعها، وحين نذكر ما لها وما عليها.

لقد اعتنق العرب الإسلام فاستطاع هذا الدين في فجر دعوته أن يُذيب العصبية المفرقة التي أكلت هذا الجنس وبددت قواه، واستطاع أن يُحول تدهوره إلى شجاعة حكيمة واعتداده بنفسه إلى اعتداد بالحق ورسالته فحسب، ومن ثم انتفع الإسلام بالعرب بعد أن هذب معدنهم وصقل رونقه، فإذا هو يطوف بالعرف ويؤسس حضارات عليها طابع الخلود.

إن الناظر إلى أقطار الغرب قد تخدعه مظاهر المدنية التي بلغتها، وإن تقدمهم البادي في مضمار العلوم والكشوف الكونية لم يخلعهم -انتبه أيها المسلم- لم يخلعهم عن طبائعهم القبلية الأولى يوم كانت تسكن أوربا قبائل "الغالي والقوص والسكسون وغيرهم" بل لعل تطور وسائل الإبادة والفتك زاد ضراوتهم ووسع المجال أمامهم لإرواء ظمأهم إلى العدوان والسطو، وأفعالهم في المستعمرات التي سقطت بين براثنهم تدل دلالة حاسمة على صدق الحكم.

إن في دماء الأوربيين وحشية بدأ الستار ينكشف عنها، وظاهر من سياسة دولهم أن القساوة الموغلة ديدنهم في الحروب التي تشتعل بينهم أو التي يشعلونها ضد غيرهم، وإنك لتعجب عندما تقرأ على فئة المائة دولار كتب عليها In God we trust أي نحن نؤمن بالله، لكننا نقول للأوربيين، لكننا نقول لهم: نُريد أن تُكتب هذه الكلمة في قلوبكم لا على ورق نقودكم، نُريد أن تُكتب هذه الكلمة لا على ورق نقودكم، لأن الذي يُؤمن بالله لا يقتل ولا يظلم ولا يعتدي على أحد، ما أجمل رسالة عيسى عليه السلام، التي جاءت بالرحمة والحب والخير والتسامح والسلام، ما أجمل كلمة عيسى عليه السلام حين نطق بها بأنه رسول المحبة والسلام حيث قال: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣].

نحن كمسلمين نحب عيسى عليه السلام، ونؤمن برسالته، وما حَدَث من اعتداء على الكنائس والمسيحيين فإن الإسلام يبرأ منه قولاً وفعلاً، نعم، الإسلام يبرأ منه قولاً وفعلاً، كيف لا وقد قال النبي العربي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلوات الله وسلامه عليه في الحديث الذي رواه أبو داود: (ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ شيئاً منه بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة) ولماذا يكون النبي صلى الله عليه وسلم حجيجه؟ لأن النبي ﷺ يريد أن يعرض دينه على الناس نظرياً بحجة مُقنعة وعملياً بسيرة مشرفة، فإذا جاء مسلم فعامل الناس معاملة شائنة واتصل بغير المسلمين اتصالاً يكون معرة للإسلام فهذا صاذاً عن سبيل الله وهو مُسيئٌ لمحمد، مُحَمَّدٌ ﷺ يدعو الناس إلى دينه، وهذا يصد الناس عن دينه.

إن الخليفة الراشد عمر رضي الله عنه من أعرف الحكام بطبيعة الإسلام وأدراهم بما يُكنه هذا الدين للبشر جميعاً من عطف وود، يروي علماء السيرة أن عمر مرَّ بباب قوم وعليه سائل يسأل، وكان السائل شيخاً ضريب البصر، فضرب عمر عَضده وقال له: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي، قال: فما أُلجئتُ إلى ما أراه؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسنن. فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله وأعطاه مما وجد عنده، ثم أرسل إلى خازن بيت المال وقال له: انظر هذا وضربائه، فوالله ما أنصفناه إذا أكلنا شبيبته ثم نَحْذله عند الهرم، إنما الصدقات للفقراء والمساكين، والفقراء هم الفقراء المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ثم وضع عنه الجزية.

لما شعر عمر أن أجله قد اقترب أوصى على فراش الموت بهذه الكلمة قال: أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيراً، -ليسمع هذا الخليفة، هو خرافة، الذي يدعي أنه خليفة أبو بكر البغدادي، ليسمع

هذه الكلمة، هو هذا الخرافة، أتى بدين كأن عمر لا يعرف شيئاً عن الدين، وكأن المسلمين لا يعرفون شيئاً عن الدين، وكأنهم يُريدون أن يضعوا إسلاماً جديداً يُنقّس عن شهواتهم ورغباتهم البغيضة - حيث قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيراً، وأن يُوفي لهم بعهدهم، وألا يُكلفهم فوق طاقتهم.

لقد ألف الدكتور المستشرق "تاريدون" كتاب سماه "أهل الذمة في الإسلام" حيث قال الدكتور: وفي أخبار النصرانية تؤيد هذا القول، أي تؤيد قول عمر وموقف عمر، وهذا ما علم الإسلام عمر وغير عمر، قال: وفي أخبار النصرانية ما يُؤيد هذا القول، وهي شهادة البطريك "عيسو بابا" الذي تولى منصبه عام ستمائة وسبعة وأربعين إلى عام ستمائة وسبعة وخمسين، إذ كتب يقول: إن العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم يُعاملوننا كما تعرفون، إنهم ليسوا بأعداء للنصرانيين، بل يمتدحون ملتنا، ويُوقرون قديسنا وقسيسينا، ويمدون يد العون إلى كنائسنا وأديرتنا.

مُنذ أيام قليلة صرح غبطة البطريك "يوحنا العاشر اليازجي" بقوله: المسيحيون والمسلمون عائلة واحدة، عائلة روحية واحدة، ولا يمكن لأحد أن يتصور الشرق من دون المسيحيين - انظر - ولا يمكن لأحد أن يتصور الشرق من دون المسيحيين.

وإننا لنقول من على منبر مسجد بني أمية الكبير بدمشق إلى البطريك وإلى كل مسيحي المشرق العربي بأسره وفي سورية خاصة: إننا نحن كمسلمين سندافع عن كنائسكم، وسنحميكم بأرواحنا وأجسادنا ما دام فينا أنفاس تخرج وتنزل في هذه الأجساد، نحن هكذا تعلمنا في إسلامنا وفي عقيدتنا وفي شريعتنا، أن نقبل الآخر وأن نحترم الآخر وأن نقف إلى جانب الآخر، نحن لا نرضى على الإطلاق أن يخرج مسيحي - لا سيما من سورية - مهاجراً إلى بلد آخر، نحن روح وجسد، كيف تُفارق الروح الجسد، لا يُمكن أن نعيش بدون بعضنا البعض، لا يُمكن أن نبني سورية بدون بعضنا البعض، نأكل من ملعقة واحدة، ونقتسم رغيف الخبز فيما بيننا، لا نرضى على الإطلاق أبداً - نعم، نقول للعالم بأسره - أبداً، أن يُهجر مسيحي من سورية، لا سيما وأننا عشنا إخوة مُتحابين متماسكين، العلاقات قائمة فيما بيننا على التراحم والصدق والأخوة الحقة، لم نسمع في يوم من الأيام أن مسيحياً أساء إلى مسلم، أو مسلماً أساء إلى مسيحي، على الإطلاق أبداً، لأن أخلاق العروبة أولاً ثم أخلاق إسلامنا تدعونا إلى أن نكون إخوة متحابين متماسكين، وأنا شخصياً - يا سادة - أجل موقف الكنيسة المشرقية، لماذا؟ كانت الكنائس في

هذه الظروف ما يُسمى بالربيع العربي المهزلي الهزلي كانت الكنيسة لها الدور الأكبر في نشر الوعي والثقافة، إنهم أهل وعي وفهم وإدراك، ما رأينا مسيحياً عملاً على التحريض، ما رأينا مسيحياً دعى إلى القتل والإجرام، ما رأينا مسيحياً هدر دم مسلم على الإطلاق، لا من قبل ولا من بعد، فإذا ذلك هذا الأمر على شيء فإنما يدل على وعي الكنيسة المشرقية المسيحية في سورية وفي الوطن العربي بأسره.

إننا -يا سادة- نفتخر بالأديان، وهي شرائع الله سبحانه، ونعتر بها، ولا ندرى أحداً خالفنا برأي أو مسألة، لأن الإسلام دعانا إلى الحوار، دعانا إلى النقاش، تحت مظلة الحب، تحت مظلة التراحم، تحت مظلة حقن الدماء، تحت مظلة الوصول إلى الحق بالطريق الذي شرعه الله عز وجل لعباده.

إننا في هذه الأيام المباركة نُطل على ولادة السيد المسيح، الذي بَشَّرَ بمجيء النبي ﷺ، عيسى عليه السلام هو الذي بشرنا بنبينا مُحَمَّدٍ عليه الصلاة والسلام، وهذا الكلام مكتوب في إنجيل متى وفي قراننا الشريف، ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ فإننا نقول لأهلنا وإخوتنا المسيحيين في سورية وفي الشرق الأوسط عموماً: أنتم أهلنا، وأنتم إخوتنا، ولم نتخلى عنكم، ولن نرضى أن تتركوا سورية، أو أن تتركوا المشرق، لأننا لنا تاريخ فيما بيننا وبينكم.

وأحب أن أقول للمسلمين بشكل خاص وللعرب بشكل عام: إن المسيحية هي من صانت العروبة أولاً وصانت الإسلام ثانياً، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين. عباد الله اتقوا الله، واعلموا أنكم ملاقوه، وأن الله غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم ارحمنا فإنك بنا رحيم ولا تعذبنا فإنك علينا قدير، اللهم ارحمنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض عليك، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهييء لنا من أمرنا رشداً، اللهم إنا نسألك أن تنصر الجيش العربي السوري، اللهم إنا نسألك أن تثبت الأرض تحت أقدامهم، وأن تُسدد أهدافهم ورميهم يا رب العالمين، وأن تكون لهم معيناً وناصرًا، اللهم وفق السيد الرئيس بشار الأسد إلى ما فيه خير البلاد والعباد، وخذ بيده إلى ما تحبه وترضاه، واجعله بشاراً خير ونصراً للأمة العربية والإسلامية، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على

المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

